

رمزية المكان (الطلل) في شعر حسام الدين الحاجري

أ.د. محمد حسين المهداوي
جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم
اللغة العربية

mohammed.hussien@uokerbala.edu.iq

صادق جاسم محمد
جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية -
قسم اللغة العربية - فرع الأدب

sadeksadek321@gmail.com

الملخص:

تعد الرموز من التقانات المهمة التي تثير فضول المتلقي وتزيد رغبته في الوصول الى قصد الشاعر ، والكشف عن دلالاتها القارة داخل نتاجه الشعري ، فديناميكية الرمز تكفل ولوج القارئ الى عمق النص ، فعمل القارئ يصبح فضاء لقراءات متعددة ، ذات الدلالة البعيدة عن الواقع المذكور ، إذ ان الرمز المكاني في النص الأدبي أداة فاعلة في كشف الخبايا النصية المفروزة من دلالاته في بعده المعبر عن البوح المكنون في أهواء الشاعر المكبوتة في دواخلها والمنظوية على ذاتها ، لذا فان اختيار هذا الموضوع يعد محاولة لتسليط الضوء على تلك الرموز وبخاصة الطللية منها ، وإظهار أهميتها في شعر حسام الدين الحاجري ، وما دامت الرموز متعلقة بالقارئ أكثر من ارتباطها بالنص ، لذا وجب على القارئ تفكيك تلك الرموز ، فهذا البحث قائم على رصدها والكشف عن مكوناتها وبخاصة الرموز (الطللية) بوصفها مكانا محملا بأبعاد وإيحاءات كثيرة .

الكلمات المفتاحية: الرمز، المكان، الطلل، الشاعر، الحاجري.

Symbolism of place (the ruins) in Husam AL Hajry's poetry

Sadiq Jassim Muhammad
University of Karbala - College of
Education for Human Sciences – Dept.
of Arabic Language - Branch of
Literature

Prof. Dr. Muhammad Husayn al-Mahdawi
University of Karbala - College of
Education for Human Sciences –
Dept. of Arabic Language

Abstract:

Symbols are considered from the important techniques that make the reader curious and increase his desire to reach out the intention of the poet, and to reveal their significance within the text and his poetic product, the dynamic of the environment ensures the reader's access to the depth of the text, so, the reader's work becomes like a space for multi readings, with far semantics from the mentioned reality, where the environment symbol within the literary text is effective tool to reveal the hidden text which are resulted from its semantics in its expressed dimension about the hidden revelation in the repressed feelings of the poet within their interiors and enrolled on themselves, so, choosing this subject is considered as an endeavor to highlight these symbols especially the ruins ones, and showing their importance in the poetry of (Husam Al Din Al Hajiri)

As soon as the symbols that related to the reader than related to text, so the reader should decode these symbols so this research is about to monitor and reveal their contents especially the ruins ones because they are a place full of a lot of dimensions and gestures.

Keywords: Symbolic, place, the ruins, the poet, AL Hajeri.

DOI: <https://doi.org/10.36317/kaj/2023/v1.i57.12324>

Kufa Journal of Arts by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة آداب الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤.٠ الدولي.



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الأخيار، ومن والاه الى يوم الدين، أما بعد:

لقد تناولت الدراسات الحديثة الشعر العربي القديم بكثير من البحوث والدراسات، ولكنها سلطت الضوء على الشعراء البارزين فيه، وقد غفلت عن كثير منهم ممن يشار اليهم بالبنان ومنهم شاعرنا حسام الدين الحاجري، فقد كانت أشعاره ممتلئة بنماذج شعرية رائعة، حملت كثيرا من الأفكار والمعاني والرؤى البعيدة والرموز الدالة، والإيحاءات الكثيرة، وغير ذلك مما ينبئ عن حس شاعري مرهف عند الشاعر، لذا وجد الباحث أنه لا بد من دراسة هذا الشاعر في ضوء الدراسات الحديثة، وكانت له رغبة ملحّة في دراسة ظاهرة المكان في شعر حسام الدين الحاجري، وما ينطوي عليه شعره من رموز وإيحاءات خفية، والتي أهتم بتوظيفها في ثنايا قصائده، وقد ضمّ هذا البحث تمهيدا بدأناه بتحديد مفهوم الرمز، ومفهوم المكان، ورمزية الطلل، ثم تلا التمهيد أربعة مباحث، الأول كان في الطلل رمزا للأهل والأحباب، والثاني في الطلل رمزا للحبيبة، أما المبحث الثالث فكان في الطلل رمزا للمكان المقدس، والمبحث الرابع جاء في الطلل رمزا للخمرة والمجون، وقد استطاع الباحث ان يكشف عن مكونات الشاعر تجاه الاطلاع، وكيف اتخذ منها الشاعر منفذا رمزيا هيا من خلاله توفير مناخ نفسي ملائم للتجربة الشعرية، مههدا للدخول في عرضه الرئيس. وفي النهاية أوجز الباحث أهم النتائج التي توصل اليها البحث، ولحق ذلك كله مسرد بالمصادر والمراجع المعتمدة بالبحث.

مدخل: مفهوم الرمز:

يرى الثعالبي أن الرمز يكون عن طريق الإشارة بالشفيتين^(١)، "ورمّزَ الانسان رمزا أشار بعين أو حاجب ... وقد يكون الرمز باللسان وهو الصوت الخفي، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم"^(٢)، وأشار ابن منظور الى مفهوم الرمز فقال: هو "تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ، من غير ابانة بصوت، وإنما هو إشارة بالشفيتين"^(٣). ويعرف الفيروز أبادي الرمز بأنه: "الإشارة بالشفتين، أو العينين، أو الحاجبين، أو باليد والضم أو اللسان"^(٤). فالرمز من تعريف المعجمات العربية إيماء بالشفتين والضم بكلام غير مفهوم، وقد ورد الرمز في القرآن الكريم في قصة النبي زكريا عليه السلام: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَةُ نَبِيِّكَ أَنْ تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا)^(٥).

أما في المفهوم الإصطلاحي: فهو الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري، مع اعتبار المعنى الظاهري المقصود^(٦)، أو مثلما يقول الدكتور مصطفى ناصف: "وسيلة ادراك ما لا يستطيع التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي، هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته"^(٧)، والرمز هو الإشارة مثلما يقول الجاحظ وقد عدّه من أدوات البيان الخمس^(٨)، بينما يتجه الناقد قدامة بن جعفر اتجاها علميا ودينيا فيقول

"وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفشاء به الى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف اسما من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرقا من حروف المعجم ، ويطلع على ذلك الموضوع من يريد إفهامه ، فيكون بذلك قولاً مفهوماً بينهما مرموزاً عن غيرهما"^(٩).

"والحق أن الرمز الأدبي يشبه الرمز الديني من حيث قدرتهما على تنظيم المجال وتوسيعه، أو من حيث قدرتهما على أن يمداه بفاعلية غريبة، ليس من السهل التعليل لها، فضلا على أن القارئ لهما ينتقل بين دلالات متعددة قد تكون متناقضة، يتلقاها بطريقة تلقائية، ويراها تدور في فلك القيم المشبعة بقدر من الغموض المنظم"^(١٠)،

ويعد ابن رشيق من أوائل من أشاروا الى الرمز فقال: هو "الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار الإشارة"^(١١).

والفرق بين الرمز والإشارة يكمن في أن "الإشارة تدل على مشار إليه محدد، أما الرمز فيؤمى إلى شئ ما ولكنه غير محدد ولا معين"^(١٢)، وهو "تركيب لفظي أساسه الإيحاء - عن طريق المشابهة - بما لا يمكن تحديده ، بحيث تتخطى عناصره اللفظية كل حدود التقرير ، موحدة بين أمشاج الشعور والفكر"^(١٣)، ويختلف الرمز عن الإشارة لأن الإشارة لاتعنيها في ذاتها بل بما تدل عليه ، أو بالأحرى لاقيمة لها مطلقا إلا بمقدار ما توصلنا الى المشار إليه ، بينما الرمز لا يمكننا ترجمته ونثر كل معطياته ، وبعبارة أوضح ليس بالإمكان أن نقول عن رمز من الرموز أنه يعني كذا وكذا فحسب ، وإلا لما كان موحيا^(١٤). فالرمز يتجاوز الدلالة الاصطلاحية الى ماتحتوي عليه الدلالة الأدبية من معنى آخر وراء المعنى الظاهري، ولعل ذلك يذكرنا بما تنبه إليه عبد القاهر الجرجاني من فرق دقيق بين المعنى، ومعنى المعنى، حينما قال: "نعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر"^(١٥).

والرمز الأدبي يختلف عن الرمز اللغوي وهناك فرق بينهما فالرمز اللغوي يتعلق بالادلة اللغوية والتي تتمثل بالصورة الصوتية والمفهوم أو بمعنى آخر الدال والمدلول، وكما نعرف أن الدال يثير في أذهاننا مدلوله وصورته^(١٦)، فوظيفة الرمز اللغوي هي "إثارة صور المدلولات لدى السامع أو القارئ، أي عقد أصرة بين الدال والمدلول لدى هذا السامع فتتشكل في مخيلته صورة الشئ على نحو معرفي يؤدي ردود الأفعال المباشرة أو البعيدة"^(١٧)، وبذلك يبدو الرمز اللغوي محدودا ويفتقد الى الكثافة التاريخية^(١٨). بينما يكون الرمز الأدبي أوسع معنى من الرمز اللغوي، بحيث يتضمنه ويتجاوزه، انه أداة لغوية تحمل وظائف جمالية عندما تسهم في تشكيل تجربة الشاعر على نحو مؤتلف مع مكونات النص الفني، وهو مستوى ثان من الرمز تأخذ فيه بعض المفردات دلالات قارة داخل النتاج الشعري، دلالات يستحيل فهمها أو القبض عليها ويمكن التماسها في الحياة الشخصية للشاعر والظروف المحيطة به، فالرمز الادبي يثير تصورات وايحاءات جديدة وغير مألوفة، ففضاء الشعر حافل بالدلالات ومنفتح على كثير من القراءات^(١٩).

ويعد الرمز من أهم الروافد المؤثرة في النتاج الأدبي بأنواعه المختلفة من شعر ونثر ورواية ومسرح ، ويهدف الأديب في توظيفه للرمز أن يتخلص من المباشرة عن طريق الإيحاء^(٢٠)، فالرمز من أهم الأدوات التي تستر بها الشاعر ليعبر عما تكنه النفس من مشاعر وأحاسيس وعما يحمل الفكر من مواقف وتصورات^(٢١)، ومن الأسباب الكامنة وراء رجوع الشاعر الى الرمز يقول الدكتور محمد فتوح: أن النفس البشرية ذات طبيعة غامضة ومعقدة، لا تستطيع الوسائل المباشرة أن تعبر عنها؛ لذلك يلجأ الشعراء إلى الرمز للإيحاء بأغوار هذه النَّفس وتلك الحالات النفسية والعوالم الخبيئة التي تقبع في أعماقها، ذلك أن الرمز تمكنه الطبيعة من تجاوز عالم الحس إلى العالم المجرد ، وبالتالي فإنه يتسنى له أن يوحي بأعماق النفس وأغوارها الغريبة المدهشة^(٢٢)، ولأن الرمز يسهل على الشاعر "التعبير عن المعاني التي لا يتسنى التعبير عنها بطريق مباشر ، وإن كانت هذه المعاني مما يدور في عالم الحس"^(٢٣)، وقد وجد الشاعر في تعامله مع الرمز ما يناسب مشاعره ؛ لان في ذلك تعبيراً لا إرادياً عن منظور الكون، ومنبعه الوحيد الذي يستمد منه قدرته على التعبير، ضمن نسيج القوى المكبوتة عند الشاعر، وفي هذه الحالة يحاول الشاعر تحقيق ذاته من خلال الرمز الذي يكشف طبيعة النفس الإنسانية^(٢٤)

وتعد الرموز من الأدوات التي يعتمد عليها كثير من الشعراء وبخاصة الشعراء الرومانسيين والشعراء الثوريين وذلك للتعبير عن تجربتهم الشعرية القابعة في وجدانهم ، والتي تتمثل في الرموز ؛ كونها وسيلة فنية تقوم مقام شيء آخر وتمتلك طاقة تعبيرية مفعمة بالدلالة كما أنها تختزل المعاني التاريخية والثقافية ماتمنح القارئ الفرصة في إعادة تشكيلها وبناء دلالاتها من جديد^(٢٥)، "فالشاعر في العادة يستخدم الرمز ليعمل على تخصيص الرؤى ويستطيع أن يُعَدِّي طرفه الى غيابات تجربته مما يعطيه القدرة على أن يشقَّ في حقل الفن رؤى شعرية بنيتها الرمز، وثمرتها تلك المعاني المختلفة التي ندركها من خلال القصيدة"^(٢٦)، ومن هنا فإن علينا أن نتتبع الصور الشعرية في شعر الحاجري، فهي التي سنعطينا دلالات رمزية تشكل في النهاية مدخلا رمزياً لرؤية الشاعر المطلقة للحياة، فاللغة الرمزية للشاعر لا تقرر لنا معنى محددا بل تجعلنا أمام حالته النفسية أو الوجدانية وأحداث عصره، ولا شك أن دراسة النص من خلال صور الرمز تعطيه بعداً شمولياً لفهم عناصره وترابطها. "وبدلاً من أن ندرس الشعر العربي دراسة أغراض علينا أن ندرسه دراسة رموز"^(٢٧).

ويمكن أن نعد رمزي الطلل والمرأة من أهم المضامين الرمزية التي تتبلور في أشعار الحاجري، لذا سنحاول في هذا الفصل تحليل الرموز التي استعان بها الحاجري للبووح عما تكنه نفسه من خلجات وما تخفيه من مشاعر وبخاصة رمزي الطل والمرأة.

وجدير بالذكر اننا لا نقصد بالرمز في شعر الحاجري المفهوم الحديث للرمزية كونها مدرسة أدبية لها مميزاتها وخصائصها، وإنما نعني أنَّ الشاعر جعل من الطلل والمرأة بؤرة لإشعاعات إيحائية لا تحد، واتخذ منهما طريقاً غير مباشر للتعبير عما يختلج في نفسه، لذا نجد

أن الحاجري لم يقصد إلى وصف طلل حقيقي، بل أنه عبر من خلاله عن طلل نفسي يحس به ويعانيه، فكان رمزاً لعواطف إنسانية وفردية عميقة.

مفهوم المكان:

يعد المكان عنصراً من العناصر الأساسية التي يقوم عليها الأدب و"يرتبط الأدب بالمكان؛ لأنه يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب حيث يدخل في جدلية مع الأشخاص ونفسياتهم والاحداث ودلالاتها"^(٢٨)، ويصاغ المكان الأدبي من رؤية الأديب لعالمه، الناتج عن طبيعة العلاقة بين الفنان ومحيطه، "وذلك يتوقف على ما للأديب من ملكات ذاتية وملكات مكتسبة... تؤهله لأن يجعل من المكان عنصراً مؤثراً في إثراء ذلك العمل والنهوض به إلى مصافي الكمال في الجمال الفني"^(٢٩).

والمكان الأدبي بطبيعته الفنية يختلف عن المكان في الواقع الطبيعي، حيث يكتسب "صفات وأبعاداً نفسية وتخيلية"^(٣٠) تنتج من أثر انعكاس علاقة الأديب بمحيطه، فروح الأديب واحاسيسه وعاطفته المتوهجة ترسم تصويراً مغايراً للمكان الواقعي، لذا يكون هذا التصور بمثابة إعادة خلق للواقع من منظور وعي الأديب.

في مجال الشعر يحول الشاعر بشئى الوسائل الابتعاد عن العالم الواقعي؛ ليخلق جواً إيهامياً فيسم المكان بميسم الفن، فنراه يناجي نفسه إذا ما عم الفقر المكان من خلال معلق بالرمال من بقايا الرسوم والرماد والأثافي ومعلق من أوتاد، والتي تعيد إليه الذكرى، وتشخص له المكان الذي قضى فيه أجمل أيامه، فتصطبغ نفسه باللوعة والالم^(٣١). وهو بذلك يفصح عن كوامن الذات وحاجاتها، ويكون حاذقاً في اختيار الموجودات المكانية وترتيبها وتحريكها وتفعيل حيويتها، "ويضفي على أماكنه صفات لا مكانية في سبيل خلق الجو الشعري المشحون بلذة الفن"^(٣٢).

إن الذات الشاعرة إن لم تجد ما تفرغ به شعورها وتشبع حاجتها إلى التعبير نزعت إلى الإيغال في الخيال من خلال رؤية فنتازية تتجاوز العقلي إلى الوهمي، والواقعي إلى الغرائبي، والحلمي إلى العجائبي، وهي في كل هذا تعيد تشكيل الواقع تشكيلاً فنياً من منظورها الخاص^(٣٣). ولهذا فقد شغل المكان في الشعر العربي حيزاً كبيراً بدءاً بالوقوف على الإطلال في الشعر الجاهلي وصولاً إلى العصر الحديث. والمنتبغ للشعر العربي يجد أنه يزخر بكم هائل من الأمكنة التي ذكرت في أشعار العرب، فقد كان شعرهم بحق وثيقة تاريخية يستفاد منها في دراسة البيئة العربية بصحرائها وأماكنها الحضرية بجميع تفاصيلها.

رمزية الطلل:

يرتبط التعبير عن المكان بالتعبير عن الطلل في القصيدة القديمة، "فالعيش في المكان يمنحه القدرة على التغلغل في بواطن النفس والإلتصاق بها، ويظل قاراً فيها بعيداً عن الملاحظة حتى يفرزه الشعور إلى السطح عند مفارقتة والإبتعاد عنه"^(٣٤)، وقد بقيت

محاولات الشعراء لاستنطاق الظل عاجزة أمام صمته الرهيب ، ثم تراجع مكثفة بالتخمين والظن، مرددة أسئلتها لعلها تجد جوابا في مستقبل الأيام^(٣٥) ، فسؤال الشعراء للنووي والاثافي والأوتاد لم يكن محض تعلق بها لذاتها ؛ بل أن علاقة الشاعر بتلك الأطلال علاقة وطيدة ، فلم يعد الظل شارة بارزة من حجارة، ونووي ، وأثافي ، وإنما صير الظل في أغوار النفس شقوفا وأخايد يحتقرها سيل الدهر احتقارا ، فتنبس منها الأحاسيس ، وقد اترعت حزنا وهما^(٣٦).

ويعد الظل من اهم الموضوعات التي تردت في القصيدة العربية، والوقوف على الأطلال من الأمور التي لازمت الشعر العربي منذ عصر ما قبل الإسلام، فقد كانوا قديما أصحاب خيام، ينتقلون من موضع إلى آخر، فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار^(٣٧)، وكان الشاعر امرؤ القيس في مقدمة من وقف عليها، وقال:

عوجا على الظل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خدام^(٣٨)

واستمرت هذه الظاهرة ملازمة للشعر العربي على مدى عصوره الأدبية، ويرى الدكتور نوري حمودي القيسي "أن بكاء الاطلال ليس عاطفة خاصة ، ولا تجربة وجدانية ذاتية ، بل لحظة حزينة أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي اليها بالحرمان من الوطن المكاني ، وبالحنين الى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتا ، يخلد فيه ذكرياته ويسترجع ملاعب صباه وهو في الواقع لا يواجه ذكرى حبه فحسب ، وإنما كانت تتداعى في ذاكرته صور شبابه الزاهب"^(٣٩)، "والاطلال هي السمعة التي يُعرف بها الشعر العربي الجيد المكتمل على مر العصور. وكان القصيدة الخالية من الظل قصيدة ناقصة مبتورة، أو هي قصيدة لم تتل من النضج والاكتمال حظها الأوفر. فجاءت عاطلة من دون تلك الشارة"^(٤٠).

ويرى الدكتور عزة حسن أن السبب في استمرار شعر الوقوف على الاطلال خلال العصور وامتداده الى العصور العباسية البعيدة عن البادية وصورها وأطلالها يعود لسببين، الاول: هو جمال هذا الشعر وحسن موقعه في القلب واثارته في النفس الانسانية، لذا اتخذ الشعراء شبه قاعدة فنية لافتتاح قصائدهم إذ يعد بأنغامه الحزينة من أجود انواع الشعر الغنائي في الادب العربي، والسبب الآخر: يعود الى حنين العرب المسلمين الى ماضيهم البعيد في الصحراء^(٤١).

والانسان بطبيعته يحن الى الديار والايام الماضية التي خلت من أصحابها بعد أن كانت عامرة هنيئة تنبض بالحياة، فهو "يلتفت ويحن عقلا ووجدانا الى مصادره"^(٤٢) وكما تقدم الزمن أصبحت صورة الوطن أوسع وأشمل، "ولم يعد الحنين وقفا على الديار الدارسة كما هو الحال في أكثر الشعر الجاهلي"^(٤٣)، فالمسلمون حينما هاجروا من مكة زاد شوقهم لها وتمنوا العودة اليها وذكروها في أشعارهم وتغنوا بحبها؛ لأنها تمثل أرض الوطن بالنسبة إليهم.

وكذلك الأمر في العصر العباسي، فقد تطور الوطن وأصبح يشمل كثيرا من الجوانب الموضوعية والذاتية. "وأساس الظل كما يرى الدكتور حيدر لازم مطلق: "هو مكان فني متخيل تقوم عناصر بنائه على ارتباط فكري الأرض والزمن"^(٤٤) ويرى الدكتور نوري

حمودي القيسي أن الظل من الرموز التي تستدعي البكاء على الحياة^(٤٥)، وأغلب شعراء هذا العصر قد أبحروا في وصف الديار والاطلال الدارسة وساروا على ما سار عليه الشعراء في العصور السابقة، ويعد شاعرنا حسام الدين الحاجري من أولئك الشعراء الذين قرنوا مقدمات قصائدهم الغزلية بذكر الاطلال ومنازل الاحباب ورسوم دارهم، فعكست لنا نفسية الشاعر وما يعانية من شجون واحزان.

إن وقوف الحاجري على تلك الاطلال لم يكن مجرد تعلق بتلك الرسوم والاثار بل هو تعبير عما تكنه نفسه، وهي رموز مضمرة يقصدها الشاعر، يرى الدكتور درويش الجندي أنّ المقدمة الطللية مقدمة رمزية تكون بمثابة الشفرة الفنية التي تحمل رموز القصيدة، وضعها الشاعر في مطلع قصيدته لتوحي بجوّها وتوّمى لموضوعها وتلمّح لفكرتها^(٤٦)، ويقول الدكتور محمود الجادر: "لقد أن لنا أن نتحرر من سلطة النظرية الموضوعية ونمط فهمها للرسوم التقليدية، فليس من المعقول أن يكون كل شاعر صاحب ظل لا يمل من الوقوف عليه وبكائه في كل قصيدة من قصائده"^{٤٧}

المبحث الأول: الظل رمزا للأهل والأصحاب:

من خلال استقرارنا لشعر الحاجري نجد أن القصائد التي افتتحها بالظل قد كون من خلالها منفذا رمزيا هيا من خلاله توفير مناخ نفسي ملائم للتجربة الشعرية، ممهدا للدخول في عرضه الرئيس "فالاطلال وغيرها من الكيانات الموضوعية التي يبثها الشاعر في افتتاحياته أشبه بالأرضية الخام التي لا تشكل باعث تأثير بذاتها قدر ما تستمد قوتها التأثيرية من مدلولاتها الرمزية التي تهى للعرض الرئيس وترتبط معه"^(٤٨) يقول الحاجري: (المتقارب)

أي شعب نجد رقادى حرام
متى قوّضت عن ربك الخيام
أفتك الف الوليد الرُضّاع
وقد يؤلمن الوليد الفطام
سأبكيك ما بكت الثاكلات
وهيهات يبرد مني أوام^(٤٩)
وأحنو اليك حنين النياق
لهن بأكناف نجد غرام
لعمري ماذا يريد الزمان
لقد حارَ في صَرفه المستهام^(٥٠)

في هذه المقدمة الطللية يبكي الشاعر شعب نجدٍ وبيته أشواقه وأحزانه، ويحن إليه حنين النياق، ولا يستطيع مفارقتة فهو معه كالطفل الذي تعلق بصدر أمه ويؤلمه فطامها، والسؤال الذي يطرح هنا هل أن الشاعر قصد هذا الشعب لذاته؟ والجواب: إن الشاعر قد اتخذ من هذا الشعب رمزا مهّد من خلاله للدخول الى عرضه الاساسي، وهو الاشتياق لأصحابه وأحبابه بأرض الحجاز، فيقول: (المتقارب)

رمزية المكان (الطلل) في شعر حسام الدين الحاجري..... (١٥٦)

رعى الله من لست أنسأهم
الى أن تموت وتبلى العضام
وأصحاب صدق بأرض الحجاز
غدا جمع شملي بهم لا يرام
صحبهم منذ عمري لهم
وشخص الشيبية طفل غلام

...

عليكم وان شطّ مني المزار سلام وجهد المقلّ السلام^(٥١)

فالحاجري استخدم الطلل رمزا أوحى عبره بذكرياته مع الأصدقاء والأحباب، فبكاء الطلل يعني أنه يبكي الأهل والأصحاب.

وحمل الطل كثيرا من الدلالات التي كان يقصدها الشاعر في كثير من قصائده، وقد جسد من خلاله مشاعره والحالة النفسية التي يعيشها تجاه تلك الرسوم والآثار. فمنازل الأحباب ورسوم دارهم تثير شجون الشاعر وتنساب دموعه تبكي الأيام الخوالي وتستذكر العيش الرغيد فيقول: (الكامل)

قف بالمنازل وقفّة المشتاق
واهمل سحائب دمعك المهراق

فهناك كان العيش حلو المجتنى
رطب المغارس يناع الأوراق

لأعلمنّ النوح كلّ حمامة
والوجد كلّ فقيده مقلّاق^(٥٢)

فالحاجري في هذه الأبيات لم يقصد إلى وصف طلل حقيقي، بل أنه عبر من خلاله عن طلل نفسي يحس به ويعانيه، إذ نلمس في هذه المقطوعة أثر المكان وفاعليته، فرمز الشاعر بـ (أهمل سحائب دمعك المهراق) إلى جوّ المنازل وما حدث فيها، ولعظمة ما أصابها يستدعيه أن ينوح عليها (لأعلمنّ النوح كلّ حمامة)، فخيال الشاعر شكل لنا صورة فنية تجعل المتلقي يتصور حجم الخراب الذي أصاب تلك المنازل التي كان العيش بها (حلو المجتنى) (يناع الأوراق).

ويقول أيضا: (دوبيت)

يا سعد أوامر الهوى لا تعصى
قف، نبك، نبهم بهذا أوصى

ناشدتك عج معي على ربهم
نبكي فحقوق دارهم لا تحصى^(٥٣)

فنرى أن الاطلال عند الحاجري أصبحت رمزا لعواطف إنسانية عميقة في نفس الشاعر، فذلك المكان – ربع أحبابه – له مكانة عظيمة في قلب الشاعر، وتلك الديار حقوق عليه فـ (حقوق دارهم لا تحصى) إذ أوحى الشاعر إلى شدة تعلقه بأصحابه وأحبابه، والألفاظ

(قف ، نبيكي) أوحى من خلالها الى مكان الدمع ، وهذا المكان رمزي ، رمز فيه الى شدة الحزن والجزع ، فالدموع "خير عون على الأحزان ، لأن الإنسان اذا كظّه الحزن تلمس مظهرها لذلك الألم الباطن ، ولكن العبارة عن هذه الإحساسات بالألفاظ والصور والالحن اوقع في القلب ، وأطف في النفس ، ولذلك كانت غزارة الدمع خير وسيلة للتعبير عن الهموم والترفيه عن القلب"^{٥٤} ، وهو الذي يقول : (الكامل)

قف بي على تلك المنازل وقفة تشفي الجوى وتفوز بالاحسان

ان الألى رحلوا غداة محجر ملأوا الفؤاد لواعج الأحزان

نزلوا برامة قاطنين فلا تسل ما حل بالأغصان والغزلان

فلأبعثن مع النسيم اليهم شكوى تميل لها غصون البان^(٥٥)

فهذه الاشارات والالفاظ التي تدل على الأطلال، شكات رمزا مكانيا عند الحاجري، وتكررت بشكل ملفت للانتباه، فقد اتكأ الشاعر على المكان كثيرا في هذه الابيات؛ وذلك لبناء الصورة الفنية للنص ، فالألفاظ مثل (المنازل ، محجر ، رامة ، الأغصان ، الغزلان ، غصون البان) اتخذها رموزا صور لنا من خلالها حالة المكان الذي تحول الى خراب برحيل الأهل والأحباب عنه ، وترتبط هذه الرموز بتواشج العلاقة الحميمة بين الحاجري وأحبته ، وكل تلك الاشكال انما تجسد لحظة توهج الذكرى ، وحنين الشاعر الى أمكنته الخاصة .

وقال في قصيدة أخرى: (مخمس)

لما وقفت على عراض المربع أبكي وأسأل عنهم بتفجع^{٥٦}

نادت حميمة بقلب موجع رحلوا عن الأوطان بعد تجمّع

عنها وأضحى الربع منهم مقفرا^(٥٧)

يصور الحاجري في هذا المخمس تجربته الحية مع تلك الاطلال ، فنراه يقف على ديار أحبابه ويذرف الدموع بعد رحيلهم عنها ، وهذه الفاجعة صورت لنا مشاعر الحاجري الخاصة ، اذ يرسم الشاعر فيها لوحة فنية متميزة ، فيجري حوارا مع ذلك الربع ويسأله عن أحبابه ولكنه لايرد له جوابا ، ثم يأتيه الجواب من الحمامة التي شاركته في الحزن عليهم ، فتخبره بأنهم رحلوا عن هذا المكان الذي تحول برحيلهم الى صحراء مقفرة ، وطائر الحمام قد أهتم به شعراء الغزل كما يقول الدكتور عزة حسن : أنهم "ظلوا يذكرونه ويأسون به وذلك لرخامة صوته في سجعه ، واثارته الحنين في النفوس برقة غنائه"^{٥٨}

وسؤال الحاجري الدمن والاطلال كثير في شعره فيقول باكيا الاطلال أملا من دمنها أن تنطق وترد له الجواب:

يا باكي الاطلال بعد حبيبه
حزنا يؤمل دمنة أن تنطقا
بح بالسرائر واهم دمعك بعدهم
وجدا وبثّ النوم عنك مطلقا
ان الذين عهدتهم سكانها
لعب الغرام بشملهم فنفرقا^(٥٩)

ويرى الدكتور علي مصطفى أن هذا "التساؤل الذي يرد في سياقات متعددة للمقدمة الطللية في القصيدة ... يمثل شكلا منهجيا يجسم التساؤل الضائع والشاعر يقف أو يحاول أن يقف عند عتبة القصيدة الشعرية ، مستمدا من هذا التساؤل نوازح الدخول الى الجوهر الحقيقي للبناء الشعري ، وهو يتلمس الزمن بقسوته ، والطبيعة بمظاهرها القوية ، والدهر بمصائبه وحوادثه ... وعبر التساؤل يتخذ الوعي مسارا آخر يتمثل في محاولته تجاوز موجعات الشعور المدمر التي تجتاح الذات وهي ترقب حالة الانهدام والنزوح الجماعي وخلخلة بنى الحياة"^(٦٠) ، فالحاجري بسؤاله الدمن والاطلال - والتي شكلت رموزا مكانية في شعره - أخذ يسقط عليها مشاعره ولواعج حبه ، ويسفر بها عما يعتريه من هم وحزن ، وسؤال الشاعر لتلك الأطلال له القدرة على احداث الفعل والإنفعال في نفس الشاعر ، إذ لا يمكن الفصل بين شعر الشاعر ونفسه ، لذا فإن الطلل أصبح رمزا يحتضن هموم الشاعر ويتسع لأحزانه .

المبحث الثاني: الطلل رمزا للحبيبة:

يتخذ الطلل عند الحاجري بعدا آخر فيكون رمزا لمكان الحبيبة، فالمرأة / الطلل في مقدمة القصيدة تختزل في بواطنها أحداثا تجمع بين السعادة / الثبور، والألم / اللذة، عناصر تكاد تنطوي على رهانات دلالية، يسعى الشاعر من وراء توظيفها الى جعل المكان يكتسب هويته من تضايقه للمحوبة أو من انتسابه اليها^(٦١). وانتساب المكان للمحوبة في شعر الحاجري كثير، فهو يسعى عبره الى توطيد العلاقة بينهما، وقد وقف الحاجري على أطلال محبوبته في كثير من القصائد، فقال في أطلال علوة: (الكامل)

طلل لعلوة دون سفح محجر
رؤته ديمة كل غيثٍ ممطر
وسرت عليه نسيمة معتلة
من غير طيبٍ نشره لم ينشر
حتى يساهم بؤرده بمقصب
ومخضب ومدرهم ومدنر
ربغ علقته به وغصن شبيبي
نضر وأسحم^(٦٢) ليلتي لم يقمر

...

ورشيقة مشوقة لو نُقِّبَت بالبدر ليلة تمّه لم يُسفر
خودّ تريك سقيم جفن لم يكن من قتل صبّ مغرم مثلي بري (١٣)

ان المتأمل في هذه الابيات يجد أن الشاعر لم يقصد الطلل لذاته، وإنما قصد (المرأة علوة) حبيبة الشاعر، فالقارئ الموجودة تشير الى ذلك، فالشاعر لم يتعلّق بذلك الربع الحجازي الا حينما اقترن بالحبيبة الرشيقة مشوقة القوام، التي لو ازلت النقاب عن وجهها فاقت البدر في ليلة تمامه، وهذا المكان يسعد الشاعر عند ذكره، فهو يمثل التواشج العاطفي الذي اختار الشاعر أن يجسده في مقدمة قصيدته، لما احتوى عليه من لقاءات دافئة بينه وبين المرأة التي تغزل بها، وهو يجسد لحظة توهج الذكرى وحنين الشاعر الى هذا المكان، فالأبيات تخرج من دائرة الوصف الحسي المباشر الى ظلال الرمزية.

وقال والشجن يغمره بعد أن عفت رسوم أطلال الحبيبة - أسماء - وقد وقف يبكيها متعللاً بهذا البكاء لعله يخفف من وجده فقال: (الطويل)

ومما شجاني بعد أسماء أربع عفت وعفا عنها مصيف ومربع

وقفت بها أسقي الثرى من مدامعي سحائب ما كانت عن الدار تقلع

أعلل نفسي بالبكاء على الحمى وإنني عليل والتعلل ينفع (١٤)

فالدكتور محمود الجادر يرى أن "هناك علاقة تفاعلية بين الطلل والمرأة مكنتها في أن تأتي في مقدمة القصائد، وهي قدرة المرأة على اثارة الشجن وتأمّل أطباف الماضي المفقود... تلك نقطة اللقاء بين رمزية الطلل والمرأة... ولكن الامر لم يجر من غير وعي للمدلولات الملازمة لطبيعة كل منهما، فثمة احساس خفي ظل يلازم الشاعر في تعامله مع كل هذين الرمزين" (١٥)، فوقوف الشاعر وبكاؤه على تلك الاطلال يبين لنا أنه لا يبكي الديار لذاتها وإنما لارتباطها بحبيبته أسماء التي أحبها بصدق، وأخذ يذرف الدموع على فراقها كالسحاب المنهمر ليعلل نفسه العليله بسبب غيابها عنه.

وقال أيضاً: (البسيط)

سقى رباك من الوسمي أغزره ولا ألمّ به وهن يغيره

وأجرت الريح في أرجائه أرجاً كالمسك سحرا على الأفاق تنشره

دار الهوى وربوعا لم أزل كلفا بأوحد الحسن يصيبني تذكره

أشتاقه وهو في قلبي ولست على بعد المسافة انساه فأذكره

فالحاجري شاعر غزلي استهوته البادية ومنازل أحبابه وديارهم فيها، فألفها وأحبها حبا جما؛ لأنه عاشق محب، ولأن الديار ديار أحبته التي غنى بها قديما، فتعلقت نفسه بكل شيء يذكره بأحبته، فالديار تذكر بالأحبة، وتثير في نفسه الشوق والصبابة، وتهيج الذكريات أكثر من أي شيء آخر، وفي هذه الأبيات يتذكر أيام صباه، ودار الهوى وربوع الحبيبة، ولا ينفك يحبها ويناجيها ويدعو لها بالسقيا، ثم ينتقل منه الى الغزل فيمزجه بشعر الوقوف على الأطلال مزجا، فيبدو للمتلقي أن المقصود من ذلك هي الحبيبة وليس الظل.

والحاجري في مجال تعبيره عن وجدته يلجأ الى اشراك المظاهر الطبيعية في أحاسيسه، فيحيي بانه الجرعاء ويهديها شوقه وسلامه وحنينه، ذاكرا هديل الحمام، ونفحات النسيم التي تهب من جانب الغور، كما يتأسى بالنسائم الآتية من ديار الحبيبة فيقول: (الطويل)

أيا بانه الجرعاء حبيت بانه يهيج وجدي بالهديل حمامها

أحن اذا هبت من الغور نفحة ولاح بأعلى الرقمتين غمامها

أهل الى أكناف ظلك عودة تبل بها نفسي ويشفى أوامها

....

سقى سرحة الوادي بنجد غمامة يفتق أنوار الرياض انسجامها

وهبت صبا تلك الربا عنبرية ولا زال رطبا شحيحها وخزامها^(٦٦)

فالإشارات والالفاظ التي دلت على الظل رمز فيها الشاعر الى تواشج أوامر المحبة بين الحاجري وحبيته وأماكن اللقاء التي كانت تجمعهما.

المبحث الثالث: الظل رمزا للمكان المقدس:

يتخذ الظل بعدا رمزيا آخر في شعر الحاجري، فقد وظفه الشاعر للدلالة على الأماكن المقدسة في نجد والحجاز.

فزيارة الحاجري الى أرض (نجد والحجاز) أدت إلى ارتباطه بهذه الديار المقدسة ارتباطا وجدانيا عميقا، فاتخذ الحاجري من تلك الأماكن رمزا أسقط فيه جملة من أحاسيسه ومشاعره القلبية تجاهها، فكانت المتنفس الوحيد الذي يروح به الحاجري عن نفسه، فوجد الراحة النفسية والمتعة الروحية في اللجوء الى تلك الديار، والهروب الى عالم بعيد عن عالمه المليء بالأشجان والأحزان، فأخذ يتغنى بديار الحجاز، مهبط الرسالة السماوية، والتغزل بها وبساكنيها نحو قوله: (الوافر)

نعم هذي الديار فحيهن تحية مفرم بطلولهن

رمزية المكان (الطلل) في شعر حسام الدين الحاجري..... (١٦١)

أعرنى وقفه يا سَعْدُ فيها لتسعدني تكن لك ألف مئه
ديار حقهن علي فرض وإن أضحي على العشاق سنه
كفاها الوكف^(٦٧) من دمعي إذا ما جفت سحْب الربيع ربوعهته^(٦٨)

فذكر الأطلال والديار في هذه الأبيات حمل كثيرا من المعاني والدلالات التي أوحى عبرها الى الأماكن المقدسة في الحجاز، وهذا واضح في قوله (ديار حقهن علي فرض)، فحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي (ص) واجب على كل مسلم ومسلمة، فأخذ الحاجري يحييها تحية المغرم بها، وبيكيها بدموع غزيرة ليسقي ربوعها حين تجفوها سحب الربيع.

فضلا عن شيوع فكرة المجاورة في الديار المقدسة، وبخاصة في العراق في القرنين السادس والسابع الهجريين، والتي تعد نوعا من النفور من الواقع المرير الناجم عن سوء الحالة الاجتماعية والاقتصادية السائدة في تلك الحقبة، فأخذ الشعراء يلجؤون الى الحجاز حيث مهبط رسالة السماء^(٦٩)، ويقول الدكتور محمد كامل حسين: إن الشعراء في أواخر العصر الفاطمي وفي العصر الأيوبي ومابعد في غزلهم، كانوا يحرصون على أن يذكروا بعض الأماكن والبلاد التي في الحجاز، ونراه عند كثير من الشعراء حتى عند هؤلاء الذين لم يزوروا تلك الأراضي المقدسة^(٧٠)، وشاعرنا من أولئك الشعراء الذين استهوتهم تلك الديار فنراه يقول: (الكامل)

أنا والأحبة منجد ومغور فعلام لا أحنو ولا أتذكر

لبكاء هذا اليوم صنت مدامعي وكذا العزيز لكل خطب يذخر

وقال في موضع آخر: (الرمل)

ذكر الأوطان بالجزع فحننا وصبا شوقا الى المعنى وغنا

قل لسكان النقا ياساداتي طفح الشوق على ذاك المعنا^(٧١)

إن تشوق الحاجري الى الديار المقدسة قد ترك بصمات واضحة في شعره، وطبعها بطابع خاص، فكانت روحه معلقة بأطياف مكة والمدينة ومسجد الحبيب المصطفى (ص)، فتلك الأماكن قد أضرمت نار الشوق والحنين في قلب الشاعر، وقد وظف شوقه هذا في مقدماته الطللية والتي حملها رموزا وايحاءات عبر بها عن مشاعره وما تكنه نفسه تجاه تلك الأماكن.

فنظم الحاجري أروع المقدمات الطللية في تشوقه للمقدسات، تلك المقدمات التي ساعدت على إظهار العواطف الوجدانية الصادقة عنده، فهو الذي يقول: (الكامل)

لا غرو إن لعبت بي الأشواق هي رامة ونسيمها الخفاق

رمزية المكان (الطلل) في شعر حسام الدين الحاجري..... (١٦٢)

من كان يعذله فقد غلب الهوى
وتحكمت بفؤاده الأغلاق
خلوا فؤادي والغرام فأنه
قلب له بهواهم استغراق
كم بين أكناف العذيب حشاشة
ذهبت بها الوجنات والأحداق (٧٢)

فمطلع هذه القصيدة من أجود المطالع عند أهل الأدب ومن أحسنها ابتداء وبراعة استهلال، فشغفوا به ، ودعوا الشعراء الى محاكاته والنسج على منواله ، وكان الشيخ محمد بن علي الشامي يطرب لهذا المطلع غاية الطرب ، ويقول : هكذا فلتكن المطالع^{٧٣} .

المبحث الرابع: الطلل رمزا للخمرة والمجون:

اتخذ الطلل بعدا مغائرا عند الحاجري - في حياته الماجنة - فنراه قد نبذ الأطلال ورفض الوقوف عليها، واقتدى بأبي نواس في ذلك، فيقول في قصيدة له داعيا الى هجر الوقوف على الأطلال والبكاء عليها مفضلا معاقرة الخمرة والتغني بأوصافها: (الكامل)

ما العيش ان يبدو برامة بارق
ويزور طيف من تهامة طارق
كلا ولا اللذات ربغ دارس
ولى بساكنه وجد السائق
العيش صافية كأن شعاعها
قبس توقد فاستنار الغاسق
ثم يقول:

مالي وآرام العقيق وراماة
ريم العقيق وريم راماة طالق
إلى أن يقول:

من كان ذا وله بنجد عاشقا
كلفا فإني للمدامة عاشق

يرى الباحث أن الحاجري لم يقنع بالاستكثار من وصف الخمرة في قصائده ؛ بل أخذ يستهل بها بعضا من قصائده الغزلية ، داعيا الى هجر الأطلال ونبذ الوقوف عليها ، فما شأنه وشأن (راماة ، وتهامة ، والعقيق ، ونجد) فما هي الا أماكن درج على ذكرها الشعراء ، وورثها من أسلافهم ، لذلك نراه يستهل قصيدته بنبذ الطلل ووصف الخمرة ، معلنا عن تصابيه وإمعانه في التماجن ، والعكوف على الخمرة التي ألم بجميع صفاتها وأدواتها ؛ وبذلك أصبحت الخمرة رمزا مكانيا ينتقل الشاعر عبره الى عالم الخيال ، عالم مثالي يتعد فيه عن عالمه الواقعي المليء بالهموم والأحزان .

رمزية المكان (الظل) في شعر حسام الدين الحاجري..... (١٦٣)

وفي قصيدة أخرى عارض فيها قصيدة الشاعر امرئ القيس التي مطلعها: (الطويل)
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل(٧٤)

فيقول: (الطويل)

لأطيب من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى دارٍ بشرقي إربل
وصهباء كالمصباح من كف شادن رقيق حواشي الخد عذب المقبل

...

ألا لا أراك الله صحبا بموقف يقولون لا تهلك أسى وتجمّل
ولا زال ندماني رجالا عليهم اذا الكاس دارت بهجة المتهلل
فما العيش الا بين حان وحانة مع الراح لا بين الدخول فحومل(٧٥)

يتضح لنا من هذه القصائد أن الحاجري قد اتخذ من هجر الاطلال رمزا مكانيا أوحى من خلاله الى الخلاعة والمجون وشرب الخمرة ، فالخمرة عنده تدل على مكان اللذة الحسية والمعنوية ، فحين يفتتح قصيدته بهجر الظل والوقوف عليه واللامبالاة بالبرق والطيف الزائر من قبل الأحبة والاستهانة في المعاني العذرية في الغزل عند القدماء ، فهو يمهّد من خلال ذلك الى الدخول الى غرضه الرئيس ألا وهو التّغني بالخمرة وأجوائها التي تثير اللذة الحسية والمعنوية ، منسجما معها مفتديا إياها بروحه وأرواح العالمين ، ولا يخش لوم اللائمين في ذلك فيقول : (المتقارب)

لحائي العذول على شربها فأضحى ولوعي بها أكثرا
وقال أتشربها منكرا فقلت نعم أشرب المنكرا
اليك عذولي فإني فتى أرى في المدامة ما لا ترى
جعلت لروحي وروح النديم فداها وأرواح كل الوري(٧٦)

فهجر الأطلال والأماكن التي اعتاد الشعراء الوقوف عليها يدل دلالة واضحة على أن الحاجري أراد بذلك الاستمتاع بجو الخمرة ومعاقرة ندمانها ؛ لأنه يرى في المدامة ما لا يرى غيره ، لذلك يرفض قول العذال ، فمنعهم إياه بزیده رغبة ولو عا في شربها ، فالخمرة فيها من السحر ما يجعل الشاعر يسبح في عالم آخر ، حيث تنقله من المكان الواقعي الى مكان ينسجم مع رغباته وأمنيّاته .

لذا فإن شعر الحاجري في الوقوف على الأطلال قد انقسم الى قسمين : قسم وقف فيه على المنازل والديار وبكاها على طريقة الشعراء القدامى ، وهذا القسم يسلكه عندما يحن الى الأهل والأصحاب ، او حين يتذكر الحبيبة وديارها ومنازل الصبا والايام التي قضاها بجانبها ، أما القسم الآخر فنراه ينهج فيه نهج أبي نواس ، فينعى فيه على الديار وأطلالها ، وعلى من يقول فيها شعرا ، ويدعو الى تركها واهمالها ، وقد تبدى لنا جليا كيف أن الحاجري حينما وقف على الاطلال وذكر الديار إنما كان ذلك مجازا ، لا حقيقة وعيانا ، فهو من شعراء القرن السابع الهجري ، وهو من أهل الحضر ، فالدكتور حسين عطوان يرى إن : وصف الأطلال ليس أكثر من قالب فني تقليدي استغله الشعراء العباسيين استغلالا جيدا ، فقد طرحوا منه مظاهر البداوة التي مثلتها في مقدمات الجاهلين آثار الديار ، وأضفوا عليه من رقتهم ورهافة حسهم ، ما جعله ملائما لعصرهم وأوقامهم ، فإذا هو يتسع عواطفهم وتجاربهم^{٧٧} . وشاعرنا أيضا ما ذكر الأطلال إلا لغاية في نفسه ، لانه وجد فيها الفرصة السانحة لإثبات مقدرته ومهارته ، وقد حملت كثيرا من الإيحاءات والرموز ، التي رمز بها الى أشياء أخرى وراءها ، فكانت رمزا يذكره بالأهل والأصحاب ، ورمزا للحزن والألم ، ورمزا يذكره بمكان الحبيبة وأماكن اللقاء التي كانت تجمعهما ، كما أنه اتخذ من الاطلال رمزا للأماكن المقدسة في نجد والحجاز ، كما وأنه اتخذها منفذا رمزيا للخلاعة والمجون والعكوف على الخمرة .

خاتمة البحث ونتائجه:

يتضح مما ذكرناه من دراستنا لرمزية المكان في شعر (حسام الدين الحاجري) قد توصلنا الى النتائج الآتية:

- ١- إن وقوف الحاجري على الاطلال لم يكن مجرد تعلق بتلك الرسوم والاثار بل هو تعبير عما تكنه نفسه تجاهها، وهي رموز مضمرة يقصدها الشاعر، فكانت بمثابة الشفرة الفنية التي تحمل رموز القصيدة، وقد وضعها الشاعر في مطلع قصيدته لتوحي بجوّها وتومئ لموضوعها وتلمّح لفكرتها
- ٢- قرن الحاجري مقدمات قصائده الغزلية بذكر الاطلال ومنازل الاحباب ورسوم دارهم، فعكست لنا نفسية الشاعر وما يعانيتها من شجون واحزان.
- ٣- اتخذ الحاجري من الأطلال رمزا مهّد من خلاله للدخول الى غرضه الأساس، وهو الاشتياق لأصحابه وأحبابه بأرض الحجاز.
- ٤- تمثل الأطلال التواشج العاطفي الذي اختار الشاعر أن يجسده في مقدمة قصيدته، لما احتوى عليه من لقاءات دافئة بينه وبين المرأة التي تغزل بها.
- ٥- اتخذ الحاجري من الأماكن المقدسة _ بنجد والحجاز_ رمزا أسقط فيه جملة من أحاسيسه ومشاعره القلبية تجاهها، فكانت المتنفس الوحيد الذي يروح به الحاجري عن نفسه، فوجد الراحة النفسية والمتعة الروحية في اللجوء الى تلك الديار، والهروب الى عالم بعيد عن عالمه المليء بالهموم والأحزان.

٦- حين يفتتح الحاجري قصيدته بهجر الطلل والوقوف عليه واللامبالاة بالبرق والظيف الزائر من قبل الأحبة والاستهانة في المعاني العذرية في الغزل عند القدماء، فهو يمهّد من خلال ذلك الى الدخول لغرضه الرئيس ألا وهو التغني بالخمرة وأجوائها.

٧- بينت هذه الدراسة جو التناقض الفني الذي عاش فيه الشعراء في عصر شاعرنا، والذي تمثّل في سيره في اتجاهين مختلفين من الفن الشعري، اتجاه يرضي النقاد والفئات الحاكمة، واتجاه بعيد عنهم يعبر فيه الشاعر عن أحاسيسه وانطباعاته ومعاناته.

هوامش البحث:

- (١) فقه اللغة وسر العربية : ١ / ٣٠٢
- (٢) كتاب الافعال ، أبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي ، تحقيق د. حسين محمد شرف و د. محمد مهدي علام : ٣ / ٩٠
- (٣) لسان العرب ، مادة (رمز)
- (٤) القاموس المحيط ، مادة (رمز)
- (٥) آل عمران : ٤١
- (٦) ينظر فن الشعر ، احسان عباس : ٢٣٨
- (٧) الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف : ١٥٣
- (٨) أدوات البيان الخمس عنده هي (اللفظ ، الاشارة ، العقد ، الخط ، الحال) ، ينظر : البيان والتبيين ، ٧٩-٧٦/ ١
- (٩) نقد النثر : قدامة بن جعفر : ٦١-٦٢
- (١٠) الصورة الأدبية : ١٥٥
- (١١) العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ٣٠٩
- (١٢) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد، دار المعارف – مصر، ١٩٧٧، ص ٤١
- (١٣) م. ن. : ٤٢
- (١٤) ينظر : م. ن. : ٤٣ – ٤٤
- (١٥) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٢٦٣
- (١٦) ينظر : بلاغة المكان : ٢٧٩
- (١٧) جماليات الاسلوب ، الصورة الفنية في الأدب العربي ، د. فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٠م ، ص : ١٧٤
- (١٨) ينظر : بلاغة المكان : ٢٧٩
- (١٩) ينظر : بلاغة المكان : ٢٨٠
- (٢٠) ينظر : المكان في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، (رسالة ماجستير) ضحى ثامر محمد الجبوري ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٥ ، ص : ١١٣

- (٢١) اتجاهات الرمز في شعر صلاح عبد الصبور ، (اطروحة دكتوراه) رشا سامي بشارة حجازين ، جامعة مؤتة ، ٢٠١٠ ، ص :
- (٢٢) ينظر : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر : ٤٦ – ٤٧
- (٢٣) الرمزية في الأدب العربي ، د. درويش الجندي ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٨ ، ص : ٥٣٣
- (٢٤) ينظر : الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، د. عبد القادر فيدوح ، دار الصفاء للطباعة والنشر ، عمان – الاردن ، ١٩٩٢ ، ص : ٤٢٤ .
- (٢٥) ينظر: الرمز الشعري: الدلالات والأبعاد في شعر مفدي زكريا: طارق بومود ، مجلة المقال، كلية الآداب واللغات ، جامعة ٢٠ أوت ، ١٩٥٥ سكيكدة – الجزائر ، العدد الأول ، ص : ١١٨ ، (بحث) .
- (٢٦) الصورة الفنية في شعر الشماخ : ١٧٣
- (٢٧) قراءة ثانية لشعرنا القديم ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ ، ص ١٣١ .
- (٢٨) المكان ودلالته في الرواية العراقية (اطروحة دكتوراه) : ٦
- (٢٩) المكان في شعر ابي العلاء المعري (رسالة ماجستير) : ٦
- (٣٠) التشكيل الجمالي للمكان وبنائه الفني في الشعر العربي الحديث : ٢١
- (٣١) الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : ٢٥٣
- (٣٢) التشكيل الجمالي للمكان وبنائه الفني في الشعر العربي الحديث : ٢٧
- (٣٣) ينظر : م . ن . ٢٦
- (٣٤) التشكيل الجمالي للمكان : ٢١٥
- ٣٥ ينظر : فلسفة المكان في الشعر العربي، د. حبيب مونسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠١م، ٥٥
- (٣٦) م . ن . ٢٠ .
- (٣٧) العمدة : ١ / ١٩٨
- (٣٨) ديوان امرؤ القيس ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٤ ، دار المعارف ١٩١٩م ، القاهرة : ١١٤ .
- (٣٩) الطبيعة في الشعر الجاهلي : ٢٦٠ – ٢٦١
- (٤٠) فلسفة المكان في الشعر العربي، د. حبيب مونسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠١م، ص : ٢٠ .
- (٤١) شعر الوقوف على الاطلال من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث دراسة تحليلية : ١١٧ – ١١٨ .
- (٤٢) الغربة المكانية في الشعر العربي، (بحث) ، عبده بدوي ، مجلة عالم الفكر ، م ١٥ ، ع ١ ، الكويت ، ١٩٨٤م : ١٥ ،
- (٤٣) الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين الى الاوطان) ، يحيى وهيب الجبوري ، دار مجدلاوي ، الطبعة الاولى ، عمان – الاردن ، ٢٠٠٨م ، ص : ٥١
- (٤٤) الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي ، د.حيدر لازم مطلق ، دار صفاء ، الطبعة الاولى ، عمان – الاردن ، ٢٠١٠م : ١٦٣

- (٤٥) ينظر : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ١١
- (٤٦) ينظر: الرمزية في الأدب العربي : ١٥٤
- ٤٧ مدخل الى بنية القصيدة العربية قبل الاسلام ، د. محمود عبد الله الجادر ، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد ٦ ، العدد ٢ ، ١٩٨٨م ، بغداد - العراق : ٦٠
- (٤٨) رمزية الطلل والمرأة في القصيدة العربية قبل الاسلام (بحث) ، د. يحيى زكي عبد طه ، مجلة كلية التربية الاساسية - الجامعة المستنصرية ، العدد ٧٠ ، ٢٠١١م ، ص : ٥١
- (٤٩) الأوام : بالضم حر العطش
- (٥٠) ديوانه : ١٢٢
- (٥١) ديوانه : ١٢٢
- (٥٢) ديوانه : ١٤٦
- (٥٣) ديوانه : ٤٥٦
- ٥٤ أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٦٤م: ٨١
- (٥٥) ديوانه : ٢٤ - ٢٥
- ٥٦ العراض : جمع عرصة وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .
- (٥٧) ديوانه : ٢٢٣
- ٥٨ شعر الوقوف على الأطلال : ٨٠
- (٥٩) ديوانه : ١٢١
- (٦٠) الوقفة الطللية بين القبول والتساؤل في رؤى الشعراء الجاهليين ، د. علي مصطفى عشا ، المجلة الاردنية للغة العربية وآدابها ، المجلد الاول ، العدد الاول ، تشرين الاول ٢٠٠٥م ، جامعة مؤتة - قسم اللغة العربية : ٣٠ - ٣١
- (٦١) ينظر : شعرية المكان في الشعر الجاهلي المعلق العشر انموذجا (اطروحة دكتوراه) ، بن بغداد أحمد ، جامعة جبالتي ليايس / سيدي بلعباس - كلية الاداب واللغات والفنون ، ٢٠١٥ - ٢٠١٦م : ١٠٣
- (٦٢) أسحم : من السحم ، والسحام : هو السواد ، ينظر : لسان العرب مادة (سحم)
- (٦٣) ديوانه : ١٢٨ - ١٢٩
- (٦٤) ديوانه : ١٣٦
- (٦٥) دراسات نقدية في الادب العربي ، د. محمود عبد الله الجادر ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٩٠م : ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- (٦٦) ديوانه : ١٠١ - ١٠٢
- (٦٧) الوكف : هو سيلان الدموع من العين ، ويقال : وكفت العين بالدمع اذا تقاطر منها .
- (٦٨) ديوانه : ١٤٣
- (٦٩) ينظر : الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ، د. مزهر عبد السوداني : ٢١٣ .
- (٧٠) ينظر : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ، د. محمد كامل حسين : ١٨٧
- (٧١) ديوانه : ١٠٠
- (٧٢) ديوانه : ٢٧

- ٧٣ ينظر : مقدمة الديوان ، تحقيق صاحب شنون الزبيدي : ٧٩
(٧٤) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، ١٩١٩م ،
القاهرة ، ص : ٨
(٧٥) ديوانه : ٢٠٢ - ٢٠٣
(٧٦) ديوانه : ١٩٢
٧٧ ينظر : مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول : ١٥٧

المصادر والمراجع:

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د. عبد القادر فيدوح، دار الصفاء للطباعة والنشر، عمان - الاردن ، ١٩٩٢
- ٣ - اتجاهات الرمز في شعر صلاح عبد الصبور ، (اطروحة دكتوراه) رشا سامي بشارة حجازين ، جامعة مؤتة ، ٢٠١٠
- ٤ - أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٦٤م
- ٥ - بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، د. فتيحة كحلوش ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٨م
- ٦ - التشكيل الجمالي للمكان وبنائه الفني في الشعر العربي الحديث ١٩٤٠-٢٠٠٠م ، د. ياسر فضل العامري ، ط ١ ، ٢٠١٩ ، نور حوران للدراسات والنشر والتراث ، دمشق - سوريا .
- ٧ - جماليات الاسلوب ، الصورة الفنية في الأدب العربي ، د. فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٠م
- ٨ - الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين الى الاوطان) ، يحيى وهيب الجبوري ، دار مجدلاوي ، الطبعة الاولى ، عمان - الاردن ، ٢٠٠٨م
- ٩ - دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ، د. محمد كامل حسين ، مؤسسة هنداوي سي اي سي ، مصر ، ٢٠١٧م .
- ١٠ - دراسات نقدية في الادب العربي ، د. محمود عبد الله الجادر ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٩٠م
- ١١ - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤م .
- ١٢ - ديوان الحاجري حسام الدين عيسى بن سنجر الاربلي المتوفى ٦٣٢هـ دراسة وتحقيق ، (رسالة ماجستير) صاحب شنون الزبيدي ، جامعة بغداد - كلية الاداب - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ١٣ - ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، ١٩١٩م ، القاهرة
- ١٤ - ديوان حسام الدين الحاجري تحقيق ودراسة ، (رسالة ماجستير) ، مصطفى محمد شوقي الجزار ، جامعة القاهرة - كلية الآداب ، ١٩٨٩م .

- ١٥ - الرمز الشعري : الدلالات والأبعاد في شعر مفدي زكريا : طارق بومود ، مجلة المقال، كلية الآداب واللغات ، جامعة ٢٠ أوت ، ١٩٥٥ سكيكدة - الجزائر ، العدد الأول
- ١٦ - الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد، دار المعارف - مصر، ١٩٧٧
- ١٧ - رمزية الطلل والمرأة في القصيدة العربية قبل الإسلام (بحث) ، د. يحيى زكي عبد طه ، مجلة كلية التربية الأساسية - الجامعة المستنصرية ، العدد ٧٠ ، ٢٠١١ م
- ١٨ - الرمزية في الأدب العربي ، د. درويش الجندي ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٨
- ١٩ - الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي ، د. حيدر لازم مطلق ، دار صفاء ، الطبعة الأولى ، عمان - الأردن ، ٢٠١٠ م
- ٢٠ - الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ، د. مزهر عبد السوداني ، دار الرشيد للنشر - العراق ، ١٩٨٠ م .
- ٢١ - شعر الوقوف على الاطلال من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث دراسة تحليلية ، د. عزة حسن ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٢٢ - شعرية المكان في الشعر الجاهلي المعلقة العشر نموذجا (اطروحة دكتوراه) ، بن بغداد أحمد ، جامعة جيلالي ليايس / سيدي بلعباس - كلية الآداب واللغات والفنون ، ٢٠١٥ - ٢٠١٦ م
- ٢٣ - الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف ، دار الاندلس ، بيروت - لبنان ، د. ت .
- ٢٤ - الصورة الفنية في شعر الشماخ ، محمد علي ذياب ، الأردن - عمان ، وزارة الثقافة ، ٢٠٠٣ م .
- ٢٥ - الطبعة في الشعر الجاهلي ، د. نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م .
- ٢٦ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، ت: محمد عبد القادر أحمد عطا ، ج ١ ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ٢٧ - الغربية المكانية في الشعر العربي ، (بحث) ، عبده بدوي ، مجلة عالم الفكر ، م ١٥ ، ع ١ ، الكويت ، ١٩٨٤ م
- ٢٨ - فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور الثعالبي ، قراءة وتقديم وتعليق خالد فهمي ، تصدير د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- ٢٩ - فلسفة المكان في الشعر العربي ، د. حبيب مونسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق - ٢٠٠١
- ٣٠ - فلسفة المكان في الشعر العربي ، د. حبيب مونسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق - ٢٠٠١ م
- ٣١ - فن الشعر ، احسان عباس ، ط ٣ ، دار الثقافة بيروت - لبنان ، د. ت .
- ٣٢ - القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٣٣ - قراءة ثانية لشعرنا القديم، مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨١

- ٣٤ - كتاب الافعال، أبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي، تحقيق د. حسين محمد شرف و د. محمد مهدي علام، القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ٣٥ - لسان العرب، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- ٣٦ - مدخل الى بنية القصيدة العربية قبل الاسلام، د. محمود عبد الله الجادر، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد ٦ ، العدد ٢ ، ١٩٨٨م ، بغداد - العراق
- ٣٧ - المقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، دار المعارف - مصر، ١٩٧٤م .
- ٣٨ - المكان في شعر أبي العلاء المعري (رسالة ماجستير) ، د. حربي نعيم الشبلي ، جامعة القادسية - كلية التربية ، ٢٠٠٢م .
- ٣٩ - المكان في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، (رسالة ماجستير) ضحى ثامر محمد الجبوري ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٥
- ٤٠ - المكان ودلالاته في الرواية العراقية (اطروحة دكتوراه) ، رحيم علي جمعة الحربي ، جامعة بغداد - كلية الآداب ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- ٤١ - نقد النثر : قدامة بن جعفر ، ت : د. طه حسين بك و د. عبد الحميد العبادي ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- ٤٢ - الوحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، د. نوري حمودي القيسي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ٤٣ - الوقفة الطللية بين القبول والتساؤل في رؤى الشعراء الجاهليين، د. علي مصطفى عشا، المجلة الاردنية للغة العربية وآدابها، المجلد الاول، العدد الاول ، تشرين الاول ٢٠٠٥م ، جامعة مؤتة - قسم اللغة العربية